مجلة المجلات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

هل احدث الدين المسيحي عالماً جديداً ؟ – الكتب الطقسية – التهذيب الاميركي في الشرق – القرعة العربية منذ مئة عام — الخط والخطاطون — الشيخ علي عبد الرازق وآراؤه في الاصلاح — التكيف اللغوي

هل احدث الدين المسيحي عالماً جديداً ؟

في المقتطف (سبتمبر . اوكتوبر . نوفمبر) مقال على العلم والعمران جاء فيه (ص : ٢٨٦ وما بعدها) انه اذا لم يأتِ رقي الاخلاق رقي العلوم كان العلم اعظم خطر على العمران، لانه يسلّح بني البشر بعضهم على بعض فيقتتلون ويتفانون بقوة احدث مخترعاتهم العلمية، قال :

« ما برحت غرائزنا العتيقة وشهواتنا وانفعالاتنا النفسية ، على حالها الاولى فتثور وتستولي علينا غيلة اذا ما غضضنا الطرف هنيهة عن شريعة الاجتماع او اذا لم يكن لنا من ديننا او شرائعنا الروحية وازع لكبح جماحنا في حياتنا . وحسبنا دليلاً على ذلك الحرب العظمى فقد كانت كارثة اثبتت لنا ان رجالاً متحضرين مثل كتبة الدواوين والنوابغ والشبان المهذبين تهذيباً سامياً قد يصيرون وحوشاً ضارية تشتهي اراقة الدماء البشرية وتقبل على التقتيل بلا رأفة اسوة بالقبائل العريقة في التوحش التي كان بعضها يقاتل البعض الآخر بالفؤوس الحجرية والسهام ذات الرؤوس العظمية . »

واحسن صاحب المقال باعرابه عن رغائبه في واجب تجميل النشوء البدني ، والارتقاء الاخلاقي ، لما في حسن الخَلق والخُلق من ضابط لحسن استعمال العلم ورقيّه في سبيل سعادة الافراد والجماعات

لكننا لا نرضى بما قيل تشاؤماً في حالة الانحطاط الاخلاقي اللازمة الجنس البشري منذ نشأته الى يومنا . قال :

« ومن اغرب الامور التي توجب الدهشة والاسف ان الانسان الذي اخضع لسلطانه جميع قوى الطبيعة لم تبد عليه اعراض اية قوة من قوى الارتقاء الخلقي منذ فجر التاريخ » (ص: ٢٨٦)

نعم لقد تظهر فظائع البشرية الساقطة باشنع قبائحها حتى في قرننا العشرين ولكن البون بين حالتنا والحالة كما كانت منذ عشرين قرن ابعد من ان يقاس

هل فطن صاحب المقال الى درجة الذلّ والتهتك التي انحطت اليها الاسرة الرومانية من جرّاء الطلاق والتقسّم ، حتى اضطر اوغسطوس قيصر الى وضع شريعة تفرض الضرائب على العزّب من الامة ؟ هل بلغه ان معظم الجنس البشري كان آنئذ رقيقاً مستبدًا يباع كالسلع وان الشغل اليدوي كان معتبرًا مهنة العبيد فلا يمسه الاحرار ؟ وان الامة اليونانية الرومانية المتأنقة بأكلها وملبسها وملاهيها لم يكن ليخطر على بالها فتح ملجأ لعجّز او مأوى لايتام او مستشفى لمرضى ؟ هل عرف ان المراسح كانت مجازر تعرض فيها الاسرى فرائس بشرية لانياب الوحوش الضواري ، ومناظرَ هائلةً لأعين المتفرجين من بني الانسان ؟

تلك كانت حالة العالم القديم في اقصى ما بلغه من درجة مدنية وعمران لما ظهرت المسيحية ، فاخذت تلك قيود البشرية تدريجًا : اعلنت ان الزواج عروةٌ لا تنفصم ، وان قيمة نفس الرجل والامرأة والولد والحر والعبد متساوية وثمنها دم المسيح . واستحثت البشر بمثل التنادي مؤسسها ، والرسل مبشريها ، على حب الشغل اليدوي والكفران بالذات واسداف الباسين . وما مضت سنون الا نشأت على انقاض الوثنية مدنية جديدة وعالم جديد انما هي المدنية المسيحية التي لا تنفك تحيي العالم باسمى ما ظهر فيه من جمال وكمال . فهي منبت الفضائل وينبوع الاخلاق الطاهرة وام البتولية والشفقة

ان يظهر الشر احايين ويثب احيانًا في ايام المدنية المسيحية ، فلا عجب ، والدين لا يحق الحرية والشعب المسيحي كسائر الشعوب مخيّرٌ في مسيره ومصيره ؛ ولكن الفرق عظيم بين منزلة الجرائم في عالمنا المسيحي ، وبين ما كانت عليه قبل العهد الميلادي . لانه اذا ما ارتكب المتحاربون في يومنا فظائع ، خجلوا منها وحاولوا الهرب من تبعتها شأن المذنبين الماقتين آثامهم . اما الشعوب قبل المسيح فكانت تستبيح المحرّمات وتحلّلها واحيانًا تقدّسها . فضلّ اذًا من قال « ان الجنس البشري لم يتقدم باخلاقه منذ فجر التاريخ الى يومنا » وشتان بين اخلاق البشر قبل المسيح وبعده .

الكتب الطقسية

يذكر قراؤنا للاديب يوسف مدوّر مقالات ملوّنها الغيرة المسيحية على مصالح الكنيسة ، نشرها سابقًا في المشرق ، وها ان رصيفتنا الغراء رسالة السلام آلت بصديقتنا ، وصدرت عددها لتشرين الاول بنظرات له مفيدة في الكتب الطقسية المارونية قال :

«وان ما حدا بنا الى انشاء هذا المقال انما هو لنبين لقراء هذه المجلة وجلهم من رؤساء طائفتنا واكليروسها واعيانها الكرام ، ان في هذا القرن العشرين حيث انتشرت المطابع في كل صقع ومكان ، ولم تبقَ لغة من اللغات المعروفة بين الامم المتمدنة إلّا وسُبكت حروفها وأعدت للطبع ، وقد بلغ فن الطباعة الى ارقى درجات الرقي ، وهو من السهولة في اقرب مكان ، ومع كل هذا ما برحت كتبنا الطقسية في كنيستنا المارونية نادرًا وجود الجزء المطبوع منها ، والجزء الآخر ما زال تحت رحمة النساخ وهو اندر من الكبريت الاحمر ، تبين ذلك اذ لعل واحدًا من وجوه الطائفة وممن لهم المقدرة تستفزه الغيرة الطائفية والحماسة الجنسية الى الاقدام على نشر كتبنا الطقسية بالطبع بعد استئذان السلطة العليا فيخلد اسمه ويجعل لنفسه ذكرى حسنى ؟

فكم من الكنائس والمعابد التي شيدت حديثاً سواء في الوطن او في بلاد المهجر هي في حاجة قصوى الى الكتب الطقسية ولا تجد منها إلّا ما ندر فيضطر القائمون بخدمة هذه الكنائس اما الى تكليف من ينسخ لهم بعض الكتب الاكثر لزوماً واما الى الاستغناء عن البعض الآخر مُرغمين ...

اليس من الحيف ان تكون كنائس طائفتنا المارونية مفتقرة الى الكتب الطقسية ؟ فلا المطبوع منها بقيت منه نسخ يسهل وجودها والحصول عليها ، وما لم ينشر بالطبع تداولته ايدي النساخ ولم يعد يوجد من يُتقن الخط السرياني في هذه الايام! »

وذكر صاحب المقال الكتب التي طبعت قديمًا ولم يجدد طبعها وهي:

١ً كتاب التنقيت الشتوي – ٢ً التنقيت الصيفي – ٣ً الاناجيل الاربعة بالسرياني والعربي – ٤ً الزيشقريان – ٥ً النوبة او الرتب الكهنوتية ،

ثم الكتب التي طبعت قديمًا وجدد طبعها حديثًا :

١ً الشحيم – ٢ً كتاب الاناشيد المعروفة بالافراميات – ٣ً كتاب الحطب المعروفة بالحمايات (طبعة غير كاملة) – ٤ً كتاب توزيع الاسرار – ٥ً رسائل القديس بولس – ٦ً خدمة القداس – ٧ً كتاب الرتب البيعية – ٨ً كتاب القداس الالهي – ٩ً كتاب مناثر الطقسيات – ١٠ً كتاب فرض اسبوع الآلام وهو المعروف بالملاش

ثم الكتب التي لا تزال مخطوطة وهي :

١ كتاب الصيامي – ٢ كتاب التشمشت – ٣ كتاب فصول الاناجيل التي تتلى في المدوس مساء وصباحاً – ٤ السنكسار – ٥ كتاب السيامذ او الشرطونية

التهذيب الاميركي في الشرق

نشرت مجلة الكلية (ايار وتشرين الثاني) مقالاً لمي افندي عقراوي « في التهذيب الاميركي خارج الولايات المتحدة » وهو سلسلة شذرات مأخوذة عن خطب القيت في المؤتمر التهذيبي المنعقد في ٣ كانون الاول ١٩٢٧ في نيويورك تحت رعاية جمعية كليات الشرق الادنى والمعهد الاممي في جامعة كولومبية في نيويورك . ونحن يسرّنا ان نعرف حكم احد علماء الاميركان في تهذيبهم وتأثيره في الشرق. قال (ص ٧١) :

« ان شعوب غرب اوربة واميركة هي التي وضعت اصول التربية المنتشرة في اقطار العالم وطرقها وموادها اي ان مئتين وخمسين مليوناً من الناس ابتدعوا اصول التربية لسائر سكان الارض الذين يبلغ عددهم الفاً وخمسمئة مليون نفس . وكلا الشرق والغرب يطالبان باصلاح بوجوب تعميم التربية وزيادتها

على ان هنالك فرقاً بين الداعين الى التربية في الغرب وبين الداعين اليها في الشرق . اما اهل الغرب فهم اليوم في شك من امر تهذيبهم يتساءلون عن صلاحية طرقهم واصول التربية عندهم ولم ينجحوا حتى الان في اعطاء الجواب على اسئلتهم هذه . اما اهل الشرق فهم يقتبسون عن الغرب دون ما تمحيص ولا سؤال . لذلك فنحن الان امام امر واقع وهو ان الشرق يقتبس عن الغرب ما لم يعد الغرب مؤمناً بصحته ونفعه . وسيعود هذا التقليد الاعمى على الشرق بما لا تحمد عقباه وسينتبه الشرق يوماً الى خطأه »

القومية العربية منذ مئة عام

وفي الكلية ايضاً (ص : ٣٨ وما بعدها) بحث انتقادي تاريخي للدكتور اسد رستم عالج فيه هذه القضية: اكانت الروح القومية العربية سبباً للنزاع بين الاتراك والعرب المصريين ؟ واليك الدواعي التي تحدو بالمؤرخ الى الايجاب سلباً :

« ان اكثر الاصول التاريخية المعروفة الان والتي تبحث في هذا النزاع لا تشير اليه كنزاع قومي بين محمد علي والسلطان محمود الثاني ومن تلك الاصول

اوربيون كثيرون . قال جيراردان عن محمد علي : «هو تركي لا يتكلم الا اللغة التركية ولا يثق الّا بابنائها» — وقال غيره : «ولا يسمح محمد علي باشا للعرب الوطنيين الدخول في مدرسة الضباط العسكرية ولا ان يترقوا في مسالك الجندية»

وزد على ذلك انه بينما كان الحصار لا يزال مضروباً على عكّا دبرت فتنة ضد محمد علي في القاهرة عاصمة حكمه . وكثير من الشبان المصريين ومئات من الفلاحين تذرعوا بكل ما استطاعوه من الوسائل للهرب من الخدمة العسكرية — والفكر الشرقي آنئذٍ لم يستأنس بمعنى القومية كما عرفها الافرنج وكان الاسلام في ذلك الزمان اقوى العوامل الاجتماعية في الشرق يضم الاتراك والعرب معاً . فمن المحتمل ان النزاع الذي وقع بين محمد علي باشا والسلطان محمود الثاني لم يكن نزاعاً بين جنس وجنس ... ولكن ربما جال بمخيلة ابراهيم باشا فكر احياء القومية العربية وذلك ينتج من اثر للبارون بوالاكونت معتمد فرنسا آنئذٍ في مصر ... على ان البتّ في الامر غير ممكن وليس لدينا سوى شاهد واحد.

الخط والخطاطون

لصاحب الآثار الاستاذ عيسى المعلوف مآثر في حفظ الاعلام الشرقية والتنقيب عن اصلها وقد رأينا ما ذكره عرضاً في مقال على الخط العربي بعض اشهر الخطّاطين المعاصرين قال: (الآثار في عددها الممتاز تشرين الاول ص : ٤٣٥)

وشافهت كثيراً من كبار الخطاطين في بلادنا ومنهم :

— مصطفى الباعي الحمصي الدمشقي اشتهر بالخط الفارسي

— نجيب بك الهواويني مؤلف (السلاسل الذهبية) بمئتين كراساً تجمع انواع الخطوط الثلاثة الرقعي والنسخي والثلث

— جميل بك العظم

— علّام يوسف علّام وله دفاتر طبعها الآباء اليسوعيون

— الشيخان مراد الشطي وحسن الشطي والشيخ حسين الباغجاتي وممدوح افندي في دمشق ومحمود الكواكبي ومحمد علي الخطيب في حلب ونسيب مكارم في لبنان

وقال في انواع الخطوط الحديثة (وجه ٤٣٨) :

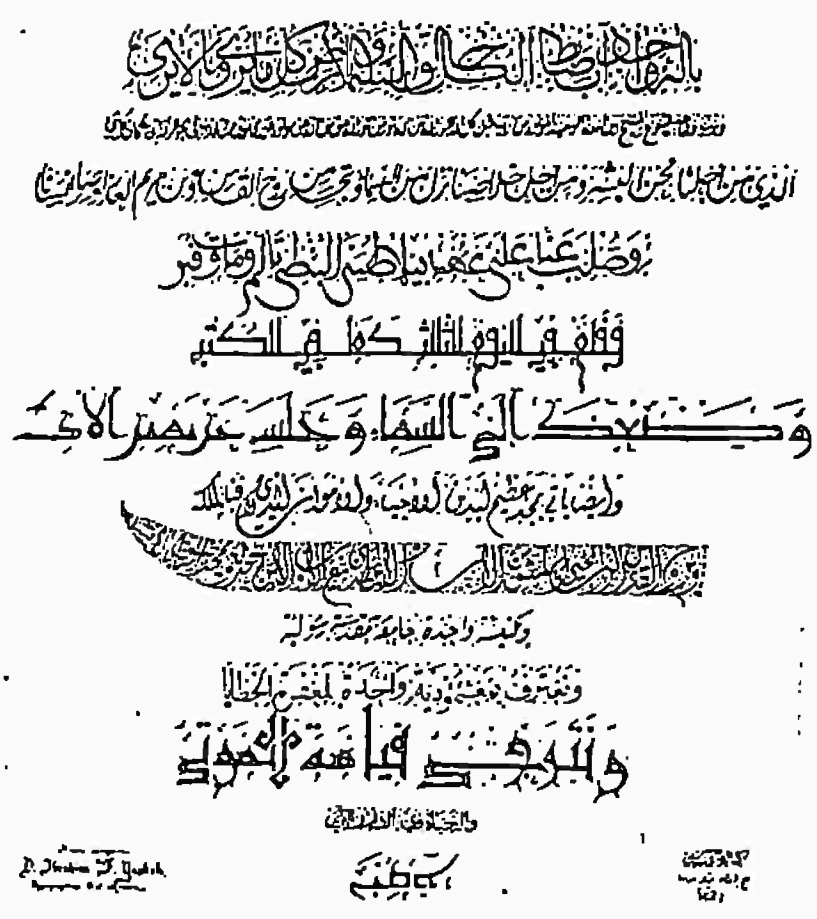

« وكانت الاقلام عند القدماء والمتأخرين كثيرة جاوزت العشرين ولكنها ارجعت الى قلمين رئيسيين هما (النسخ) و (الكوفي) وعرف من فروعها عند المتأخرين تسعة اقلام هي : الثلث والنسخ والكوفي والرقعة والتعليق (الفارسي) والمعلق (فرع التعليق) والريحاني (الاجازة) والديواني (الهمايوني) والديواني الجلي

ومن مائة سنة اقتصر على الاقلام الاربعة منها وهي : الرقعة والنسخ والثلث والفارسي . ويكتب الخطاطون عدا ذلك : الخط الديواني والريحاني ، والديواني الجلي ونادراً تكتب هذه على بطاقة بعض الاشخاص

والعامة في الاستانة ومصر وسورية في هذه الايام تكتب الخط الرقعة (ويسمى في سورية الديواني خطأ) لان الديواني خط آخر يستعمل لكتابات التقاليد (الفرمانات) التي يمنح بموجبها رتب »

وانا لنضيف الى مزدكرم الاستاذ صاحب المقال اسم الخطاط ابراهيم فارس بزيك المصحح في مطبعة الارض المقدسة في اورشليم ، نشر قانون الايمان مكتوباً بعشرة خطوط بديعة ويرى الطالع صورته مصغرة في الصفحة السابقة ، نشرناها عن نسخة محفوظة في مكتبتنا الشرقية

الشيخ علي عبد الرازق وآراؤه في الاصلاح

تعلم الشيخ علي عبد الرازق وعلم في الازهر ، وتخرج من اكسفرد فقابل بين جامعتها والمؤسس المصري الكبير ، فقطن الى مواضع ضعف الازهر وقام يطالب باصلاحه . ووت له مجلة الهلال حديثاً قال فيه : (نوفمبر ص : ٢١)

« اما الازهر كجامعة دينية لتخريج العلماء الكفاة فهو بحالته الحاضرة ليس سوى صفر لا فائدة فيه البتة ، وانا اوثر ان ارى للمسلمين علماء يتيسون دينهم متخرجين من الجامعات العصرية على الطراز الحديث . ولقد اذهب الى ابعد من ذلك واتمنى لو ارى بين علماء المسلمين من يتخرجون في الجامعات الاوربية »

وقال في السفور :

« وانا اوافق بلا تردد على السفور ولا ارى في الاسلام ما يعارضه ولكني احب ان يكون للسفور قيود خلقية شديدة متينة كما كان عند الانكليزيات قبل الحرب »

وقال : « ان الوقف الاهلي كله ضرر واذى بالناس وليس في الدين ما يمنع

من تقييد الزواج والطلاق وتنظيمها مدنياً اذا اقتضت المصلحة العامة.

وقال: « اني من القائلين بان الاسلام لا يعرف سلطة دينية لرجل من الناس ولا جماعة وما القضاء بجميع احواله الّا نظام مدني وما المسائل الشخصية في نظر الدين الّا كالمسائل الجنائية والمدنية يمكن القضاء فيها لرجل واحد او لهيئة واحدة. »

وقال في الادب : « اكبر ما انكره في اسلوبنا الحاضر هو الجانب الخلقي اكثر من الجانب الكتابي من حيث تساهل عامة الكتّاب في استعمال الالفاظ والتعبيرات التي لا تجيزها قواعد الاخلاق وربما لا تقع اللائمة على الكتّاب وحدهم في ذلك فان بعضاً منها يقع على الأمة »

التكيف اللغوي

الفى الاستاذ احمد سامح المالدي مدير الكلية العربية بالقدس في النادي الرياضي الاسلامي يافا محاضرة تكلم فيها على التكيّف او التطور عموماً ثم على التكيّف اللغوي خصوصاً فقال: (الكشاف ، ايلول ص: ٤٤٥).

« يخطئ من يظن ان اللغة بحالتها الحاضرة تصلح كل الاصلاح لمقتضيات هذا العصر كما يدعي البعض: ان هذا الكلام لا يقام له وزن وكيف ينتظر من قوم ناموا ستة قرون او ما يزيد ان يوجدوا ما اوجده غيرهم هذه المدة ؟ من اين لنا ان نجد هذه المعاني والمسميات الكثيرة والعلوم الحديثة ؟ فاللغة تنمو وتضعف بحسب نمو وضعف المتكلمين بها . اليست تابعة لنظام التكيُّف ؟...

اللغة بحالتها الحاضرة لا تفي اذاً بحاجة . واما اننا نهتم باللفظ اكثر من المعنى فهذا امر ثابت . غير ان انحطاط الفكر هو الذي سبب هذا التقيد اللغوي. فاصبحوا يهتمون باللفظ دون المعنى وهو كل همهم ، شأننا يوم كنا طلاباً ندرس اللغة ، فكان الاستاذ يطلب منا انشاء ، فاذا ما اردنا ان نكتب تواردت علينا الالفاظ دون المعاني والافكار ... يتم اذاً التحرير اللغوي [او التكيف] بانقلاب في تدريس اللغة وتقريبها الى اذهان الطلبة وحذف القواعد الجافة منها وتسهيلها وترغيبهم فيها »